نحب البيئة و نحافظ عليها

٢

الماء
سر الحياة

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد ميساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

من وَحْي المِنْبرِ...

في آخرِ حِصَّةٍ من دُروسِ يومِ الخَميسِ اتَّفقَ الطُّلابُ مع أُسْتاذِهِم (عليّ) على حُضُورِ صلاةِ الجُمُعةِ ، والاسْتِماعِ إلى خُطْبةِ الجُمُعةِ.. وتمّ الإجماعُ على الحُضُورِ في مَسْجدِ الشُّهداءِ.

وبالفِعْلِ هرعَ الطلابُ إلى المسجدِ ، وجَلَسُوا بينَ المُصَلّين ، وأُقِيمَ الأَذانُ الأوَّلُ ، وصَعِدَ الخَطِيبُ المنبرَ ، وبعد أن حَمِدَ الله وأَثْنى عليه ، وصَلَّى على النَّبيِّ ﷺ قال: ما زِلْنا مع مَوْضُوعِ المياهِ.

تلكمُ النِّعمةُ التي أَوْدعَ اللهُ فيها سِرَّ الحياةِ ،

مِصْداقُ ذلك قولهُ تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾

[الأنبياء: ٣٠].

كذلكَ فبواسِطتِها يتمُّ إحياءُ الأرضِ ، قال اللهُ تعالى:

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

وقال سُبْحانه في عُلاه:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ﴾

[فصلت: ٣٩].

وبواسطةِ الماءِ ينبتُ النَّباتُ ، وتَحْيا الأَرْضُ ، قال اللهُ تعالى في مَعْرِضِ الرّدِّ على المُعانِدينَ والمُشَكِّكِينَ بقدرةِ الله سُبْحانه:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾

[النمل: ٦٠].

ومَهْما تَطَوَّرتِ الحَياةُ وتَقَدَّمتْ ، فإنَّ الإنْسانَ يبقى مُحْتاجاً إلى نِعْمةِ الماءِ ، قال اللهُ تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾

[الفرقان: ٤٨ ـ ٤٩].

وبالتَّالي فالإنْسانُ خُلِقَ من الماءِ ، قال تعالى:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٥ ـ ٧].

وخَتَمَ الشَّيخُ الخَطِيبُ الخُطْبةَ بقوله: وهذه

النِّعمُ العَظِيمةُ تحتاجُ إلى شُكْرٍ للهِ وإلا كان زَوالُها مُحقَّقاً:

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

مُشْكِلةُ المَشَاكِل

وبَعْدَ الانْتِهاءِ من صَلاةِ الجُمُعةِ، انْطَلَقَ الأَصْدقاءُ مَعَ أُسْتاذِهم (يوسف) إلى زِيارةِ صَدِيقِهم (أمجد)...

وبالفِعْلِ فَرِحَ (أمجدُ) وأَهْلُه بزيارةِ التَّلاميذِ والأُسْتاذِ، وراحُوا يَتَنَاقَشُون حول الكلامِ الذي قاله خَطِيبُ الجُمُعةِ..

فعلَّقَ الأستاذُ (يوسف) على ذلك بقولِه: لعلَّ أكبرَ مُشكلةٍ يُعاني منها العالمُ اليومَ هي مُشْكِلةُ توفيرِ الماء الصَّالحِ للشُّربِ، وخاصَّةً في قُرى

وأريـــافِ دُولِ العـــالـــمِ الثَّـــالـــثِ ، وقَـــدَّرتِ الإحْصائِياتُ الأخيرةُ للمُنَظَّمةِ العالمية للصِّحَّةِ أنَّ نِصْفَ سُكّانِ الأريافِ في العالم لا يَنْعمُون بماءٍ صالحٍ للشُّربِ!

قال الطَّالبُ (إحسان): أَجَلْ يا أستاذُ! فلقدْ قرأتُ منذ يومَيْنِ تَقرْيراً صادِراً عن إحْدى المُنَظَّماتِ العالمية ، جاء فيه:

هنالك ما يُقارِبُ من (٧٥٠) مليون حالة إسْهـالٍ تقـعُ في العـالم ، وتتسبَّبُ في ربْـعِ الوفياتِ عند الأطفال في العالم الثَّالثِ ، وأغلبُ هذه الحالاتِ ناتجةٌ عن شُرْبِ الماءِ المُلوَّثِ!!

قال الأستاذ (يوسف): أحسنتَ يا إحسان! وباركَ اللهُ فيك ، ثم توجَّه نحو الطُّلابِ ، وقالَ: يا أحبائي! طريقُ الماءِ طريقٌ شاقٌّ وعَسِيرٌ ، لذلك على كُلِّ واحدٍ منا أن يُفَكِّر كيف يصلُ الماءُ

إليه ، فإذا أرادَ أن يَشْرَبَ ، حَمَل كأساً وانْطَلقَ إلى صُنْبُورِ الماءِ.. ثم يَشْرَبُ ماءً زُلالاً ، وبعد ذلك عليه أن يُفَكِّرَ ويتساءَلَ: كيف وَصَلَ الماءُ إليّ ، وما هي الأتعابُ التي صَبرَ الإنسانُ عليها وأوصلَ المياهَ إلى كُلِّ مَكانٍ..؟!

كُلُّنا يَعْلَمُ أنَّ الماءَ الذي يَصِلُ إلى مَنازِلِنا لا يَصِلُ إلا بِجُهْدٍ جَهِيدٍ ، ويَتَضافَرُ في عمليةِ تَوْصِيلِهِ إلى البيوتِ سِلْسلةٌ من الجُهُودِ المُضْنِية ، والطَّاقات.

أجلْ! كم يحتاجُ العالمُ إلى كَمِيَّاتٍ كَبيرةٍ من المِياهِ؟

فالإنسانُ يستهلكُ في اليومِ الواحدِ وبشكلٍ وَسَطِيٍّ قُرابةَ (٢٥٠) ليتر ماءٍ ، وذلك للشُّربِ والغَسِيلِ والطَّهي والاسْتِحْمامِ ، إضَافةً إلى

اسْتِخْدامِه في سَقْي الأَشْجارِ ، وفي أُمُورِ الصِّناعةِ ونحوه.

إذاً: كم يَسْتَهلِكُ سُكَّانُ الكُرةِ الأَرْضيَّةِ من المياهِ؟!

أجابَ الطَّالبُ (أمجد): بما أنَّ تَعْدادَ سُكَّانِ الكُرةِ الأرضيَّةِ قاربَ هذا العامَ (٤,٦) بليون ، فالجوابُ يكونُ بضربِ الرَّقم الذي يَسْتَهْلِكُه الفردُ الواحدُ بالرَّقم الذي يَدُلُّ على تَعْدادِ السُّكَّانِ ، وسَيكُونُ رَقْماً مُخِيفاً حَقّاً!!

فقالَ الأستاذُ (يوسف): ومَنْ أرادَ معْرفةَ بعض الأَوامِرِ المُتعلِّقةِ بالتَّكاليفِ العالية لجرِّ المِياهِ العَذْبةِ إلى البيُوتِ ، فليتذكَّرْ أنَّ بَعْضَ بلادِنا العَربيَّةِ تعتمدُ على تَحْلِيةِ مِياهِ البحرِ ، أو على سَحْبِ المياهِ الجَوْفيةِ إلى سَطْحِ الأرضِ.

لكنْ ما هي أهمُّ استِخْداماتِ المِياهِ؟!

سألَ الطَّالبُ (أمجـد): ولكنْ ما هي أهمُّ اسْتِخْداماتِ المياهِ؟

فاسْتأذنَ (أحمدُ) من الأستاذ ، ثمَّ قالَ: هُناك اسْتِخـدامُ المـاءِ للغـذَاءِ: خـاصَّـةً أنَّ كُـلَّ الخُضْراواتِ واللحومِ ، بل وغالبيةُ ما يَتَناولُ الإنسانُ يحتاجُ إلى ماءٍ.

بلْ وحَتَّى الثَّروةُ السَّمَكيةُ ونحو ذلك بحاجةٍ إلى مياهٍ ، وكذلك الثَّروةُ الزِّراعيةُ كامِلةً ، ولن تُخْـرِجَ التُّـربـةُ أيَّ نـوعٍ مـن أَنْـواعِ الفَـواكـهِ والخُضْراواتِ إلا عن طريقِ الماءِ ، وصَدَقَ اللهُ تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وهنـــاكَ اسْتِخْـــدامٌ آخـــرُ هـــو للتَّنميـــةِ والصِّناعـةِ:

فأيُّ تَقَدُّمٍ سواءً كان زِراعيًّاً أم صِناعيًّاً أم اجْتِماعياً لا يتمُّ إلا بتوافِرِ الماءِ، فالزِّراعةُ بجميعِ أنواعِها تَحْتاجُ إلى مِياهٍ، وقد قدَّر العُلَماءُ أنَّ إنْتاجَ كيلو غرام من القَمْحِ مثلاً يحتاجُ إلى (١٣٢) جالوناً من الماءِ! بينما يحتاجُ إنتاجُ كيلو اللحمِ إلى (٥٥١٢) جالون ماءٍ، وهكذا في المَجالِ الصِّناعيِّ، فقد قُدّرَ أن الكميَّةَ المَطْلُوبةَ للصِّناعةِ تختلفُ من أمرٍ لآخرَ، فمثلاً لإنتاجِ لترٍ واحدٍ من البترولِ يلزمُ عشرات اللتراتٍ من الماءِ! بينما يَحْتاجُ تصنيعُ طن واحد من المطّاطِ الصِّناعيِّ إلى (٢٠٠) متر مكعب ماءً!!

وفي مَجَالِ الطَّاقةِ لا يُمْكِنُ أن يَتَحَقَّقَ أيُّ شَيءٍ إلا عن طَريقِ اسْتِهْلاكِ كميةٍ كبيرةٍ مِنَ

المِيـــاه ، مثـــالُ ذلـــك الكهـــربـــاءُ ، والمِيـــاهُ ، والبترولُ!!

وهَكـــذا يُسْتَخْـــدَمُ المـــاءُ فـــي مَجَـــالاتِ التَّكنولوجيا ، حتى في مجالاتِ دِراسةِ الفَضاءِ ، فلا بُدَّ أن تَبْرزَ مسألةُ المياهِ...

نحنُ والماءُ!!

وأرادَ (أنورُ) أن يُشارِكَ في الحَديثِ عن مَسْألةِ المِياهِ ، فاسْتَأْذنَ الأستاذَ (يوسف) وقال: لقد شاهدتُ بَرْنامجاً تِلْفزيونيّاً يتحدَّثُ عن المِياهِ ، وحفظتُ منه أنَّ نسبةَ الماءِ تُساوي بين (٦٠ و٧٠٪) من وزنِ جِسْم الإنسانِ! فإذا كان وزنُ أَحَدِنا مثلاً (٧٠) كغ ، عندئذٍ يكونُ وزنُ الماءِ (٤٢) كغ.. لذلك فما هو واجِبُنا تُجاهَ هذه النِّعْمةِ الإلهيَّةِ؟!

وشاركَ الجَمِيعُ في الإجابةِ عن هذا السُّؤالِ الرَّائعِ ، فقال (أحمدُ): علينا أولاً أن نَشْكُرَ اللهَ المُنْعِمَ على هذه النِّعْمةِ العَظِيمةِ ، وأن لا ننسى أنَّه هو وَحْدهُ إذا شاء مَنَعَ عنّا ذلك كُلَّه:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾

[الملك: ٣٠].

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾

[الواقعة: ٦٨ ـ ٧٠].

وقال (أَيْهَمُ): وعلينا أن لا نُسْرِفَ في اسْتِعْمالِ المياهِ ، بحيثُ إنَّ السَّرفَ كما عَرَّفَه العُلماءُ هو: تَجَاوزُ الحَدِّ في كُلِّ فِعْلٍ يَفْعَلُه الإنسانُ ، مِصْداقُ ذلك قولُ الله تعالى ، وهُو يَرْسُمُ المَنْهَجَ:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

وفي مسألةِ الماءِ لا يجوزُ الإسرافُ في الشُّربِ أو التَّنظيفِ أو السِّقايةِ أو غَسْلِ السَّيارة ، لأنَّ ذلك كُلَّه حَرامٌ ، قال اللهُ تعالى:

﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾

[الأنعام: ١٤١].

واسْتَدْركَ الأستاذُ (يوسف) القولَ: بل إنَّ الشَّريعةَ الإسْلاميَّةَ تُحَرِّمُ اسْتِهْلاكَ الماءِ أكثرَ من الحاجاتِ الضَّروريَّةِ حتى لو كانَ الماءُ زائداً.

مِصْداقُ ذلك قولُ رسولِ الله ﷺ فيما رواه الإمامُ أحمدُ في المُسْنَد: عن عبدِ الله بنِ عُمَر رَضِي الله عنهما أنَّ رسولَ الله مَرَّ بِسَعْدٍ وهو يتوضَّأ ، فقال: «لا تُسْرِفْ».

فقالَ: يا رسولَ الله! أو في الماءِ إسْرافٌ؟

قال: «نعمْ وإنْ كنتَ على نَهرٍ جَارٍ».

وقال (إحسان): وكذلك يجبُ علينا أن نُحافِظَ على المياهِ ، فنُبْعِد عنها كُلَّ ما يُؤدِّي إلى تَلْوِيثها ، فلا يجوزُ إلقاءُ القمامةِ في النَّهر أو البحرِ ، ولا يجوزُ أن تُرْمَى الحَيواناتُ الميتةُ قُرْبَ الأنهارِ والسَّواحلِ ، ولا يجوزُ أن يُبالَ في الماءِ الرَّاكدِ ، ولا يجوزُ العَبَثُ بِصَنابيرِ المياهِ: سواءٌ كان ذلك في البيوتِ ، أو المدارسِ ، أو الأَماكنِ العامَّةِ ، ولا يَجُوزُ تَرْكُ المُسْتَنْقَعاتِ مَرْتعاً للحَشَراتِ الضَّارةِ.

واتَّفَقَ الجَمِيعُ على مُتابعة مَسْألةِ المَحافَظةِ على المِياهِ في المَدْرسةِ ، ومَعْ أَهْلِيْهِم في البُيوتِ ، وذلك بهدفِ زِيادةِ الوَعْي ، لِلمحافظةِ على هذه النِّعْمةِ العَظِيمةِ ، وبيان قِيْمةِ الماءِ للبَشَرِ والنَّباتِ والحَيَوانِ...

ولمَّا استعدَّ الطُّلابُ مع أُسْتاذهم لِمُغادرةِ منزلِ أبي أَمْجد ، بَعْدَ الزِّيارةِ الرَّائعةِ ، التي كانتْ كدرسٍ في العُلوم.

عِندَها سَمِعُوا والدَ (أمجد) يَتْلُو قولَه تعالى في حكايةِ نبيِّ الله نُوحٍ:

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾

[نوح: ١٠ - ١٣].

وآخرُ دَعْوانا أن الحمدُ لله رَبِّ العالَمِينَ